وجزارهم . لان الهدف السياسي من اشباع الاسرائيلي بحس الكارثة مكرس لاشباعه ، في الوقت ذاته ، بالحاجة الى الانتقام لا من قاتله .. بل من ضحية اخـــرى هي الشعب الفلسطيني . ان الصهيوني الوقح لا يخجل من الاعتزاز بأن فقدان ستة ملايين يهودي ـــ اذا صح الرقم ـــ قد أعطاه وطنا !..

[٤]

لا يعترفون بحقك .. ولا يعترفون بذاكرتك .

ذهبت الى مركز الشرطة في الرابعة بعد الظهر . وأعلنت انك موجود . قال صديقك : تعال الى مغامرة . ان اقتحام الجمال مغامرة حقا . الى الجنوب من حيفا ـــ على الشارع المحاذي للبحر الابيض ، تشعل سيجارتك في الريح ولا تطفئها الا في جرحك المفتوح . تنحرف السيارة الى الشمال قليلا فتجد نفسك في كنز . على المدخل لافتـــة بالعبرية تقول « هنا عين هود » . اسم القرية عين حوض ولكن حرف الضاد يستعصي على الترجمة . يسقط الوطن ، ولا يسقط حرف . وما هي عين حوض ؟. بيوت عربية متروكة من الخارج كما تركها أصحابها . كل بيت يختبىء في غابة ويستقل عن العالم ، في واد يحمل ثلاث هضاب وطريقا صغيرا الى البحر . السكان الاصليون نقلوا الى قمة أحد التلال المطلة على جرحهم المفتوح في الوادي . لماذا هذه السادية ؟ يرون الى بيوتهم وسكانها الجدد والى أرضهم التريكة ولا يقوون على زيارة العشب والحجارة . وأكثر من ذلك لا يعترفون بذاكرتهم .

لصديقي صديق رسام اسرائيلي يقيم في هذه القرية . أصر على أن يحتفظ بالبيت العربي القديم على حاله . « ديكور جميل يذكرني بالشرق » . هكذا قال الرسام الذي روى لنا قصة فراره من النازية . سألناه عن علاقته بالارض التي يسكنها الان . فأجاب بأنه يحبها . ذكرناه بأن مجرد حاجته الى ديكور عربي ليربطه بالشرق يلغي أصالة ارتباطه بهذه الارض . ويعطيه صفة السائح . قال : ليس لي مفر . ثم دلنا علـــى التشابه التاريخي بين العرب واليهود . ان صفة اللجوء تجمع بينهما . والان ، يشترك كل واحد منهما في تشكيل بنية الاخر . قلنا : ان ما يجمعهما هو ، في الوقت ذاته ، نقطة الصراع بينهما . لقد تخلصت من اللجوء والتشرد لتدفع الطرف الآخر الى نقطة الدائرة ذاتها . وهكذا تكون المعادلة متناقضة . حين تجد نفسك تلغيني من وجودي . وحين أتمسك بوجودي تتحول العلاقة ما بيني وبينك الى صراع . لا لاني أعترض على خلاصك وعلى احتمال المشاركة في الوجود والارض ، ولكن لاني أعترض على الغائي الناجم عن الطريقة التي تمارس بها وجودك .

لا تنتهي المناقشة في مثل هذه الحالات ، لان الاعتراف بالحق نفي . فعلى بعد خطوات منا يجلس أهل القرية الاصليون وينظرون .. وليست صهيونية عربية ـــ كما يدعون ـــ أن يتمسك العربي بذاكرته عقدين من الزمن . ان طرح الذاكرة الصهيونية في ادعاء الحق هو ضعف اسرائيلي أكثر مـــن كونه ذريعة . فالاحتكام الى الذاكرة يبطـــل الدهشة الاسرائيلية من تمسك الفلسطيني بذكريات طازجة . ان الذي أباح لنفسه أن يذرف الدموع على ألفي سنة لا يستطيع اتهام من يبكي منذ عشرين سنة فقط بالوقوع في الوهم . واحتكار البكاء ـــ اذا جاز التعبير ـــ ليس صفة قومية تدعو للاعتزاز . وفي الخامس عشر من أيار ـــ وفي ساعة محددة في الصباح ـــ تنطلق صفارات الانذار في كل أنحاء اسرائيل لتعلن الوقوف حدادا على الذين سقطوا في « حرب التحرير » . السائر يتسمر أينما كان . والسيارات تقف . والاعمال والماكنات تتوقف اعلانا للحداد الذي يسبق